جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العبرية وآدابها

علامات ضبط القراءة في الماسوراة السريانية

رسالة مقدمة من

بديعة علي فهمي العطار

لنيل درجة الدكتوراة

اشراف

أ . د . محمد بحر عبد المجيد مشرفا

أ . د . زاكية محمد رشدي مشرفا ومشاركا

د . سباستيان بروك

كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م

شكـــــر وتقديـــــر

اتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان بالجميل الى كـل من ساهم فى اخراج هذا البحـث فى صورته الحالية واخص بالذكر الاستاذ الدكتور محمد بحر عبد المجيد على ما قدمه من توجيـه علمى ، كما اشكر الاستاذة الدكتورة زاكية محمد رشدى التى ذللت كل مصاعب اعترضت طريـق البحث بتشجيعها العلمى والمعنوى .

كذلك اشكر الاستاذ الدكتور سباستيان بروك الذى لم يبخل على بوقته ولا بتوجيهاتـه العلمية كما سهل لى مهمة الاطلاع على المخطوطات وجمع المادة العلمية اللازمة .

الباحثـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداف الدراسة ومنهج البحث

رغم أن بر عبرايا (ت ١٢٨٦م) قد أورد في مبحثه النحوى أن السريان لديهم 'تقليدان' أحدهما غربي في الرها والاخر شرقي في نصيبين ، الا أن مضمون ما ذكره لم يكشف عنه النقاب الا بعد محاولات من جانب المحدثين انتهت الى اكتشاف أن المخطوطات السريانية التي تحمل مصطلح 'مشلمانوثا' (= تقاليد) هي مخطوطات يمكن أن يطلق عليها مجازا ماسوراة سريانية لانها تتفق بوجه عام مع المصطلح العبرى 'ماسوراة' الذى يطلق على مخطوطات الكتاب المقدس التي تمتاز بضبط محتواها بالرموز والاشارات اللازمة لتقنين القراءة بها .

وقد حظيت مخطوطات الماسوراة السريانية الغربية باهتمام المحدثين فقاموا باجراء دراسات وصفية على محتواها ، أما الماسوراة السريانية الشرقية فلم تحظ منهم بأى اهتمام حتى الآن رغم أن بعضهم قد لفت النظر الى ضرورة دراسة المخطوط المودع في المكتبة البريطانية تحت رقم ١٢١٣٨ والمؤرخ بعام (٨٩٩م) .

وفيما يتعلق برموز ضبط القراءة المعروفة لدى السريان - أعنى نقط التمييز والحركات وما شابه ذلك - فقد وجه المحدثون المتخصصون في نحو اللغة السريانية جهودهم الى دراسة الرموز الخاصة بالمدرسة الغربية ، أما رموز ضبط القراءة في المدرسة الشرقية فلم تحظ هي الأخرى بنفس القدر من الاهتمام .

وعلى ضوء تلك الاعتبارات جاءت هذه الدراسة لتحقيق ما يلي :-

(١) وصف وتحليل الدلالات الصوتية للرموز النقطية والخطية في المدرسة الشرقية وفقا للقوانين التي ذكرها علماء اللغة في هذه المدرسة .

(٢) الوقوف على منهج علماء القراءة واسلوب تطبيق استخدامات هذه الرموز في مخطوط الماسوراة الشرقية رقم ١٢١٣٨ .

ولتحقيق هذه الأهداف قسمت البحث الى ثلاثة مباحث وفقا للخطوات التالية :

تمهيد : عرضت فيه بايجاز للمراحل الثلاث التي مر بها الأدب السرياني ، الأولى وهي تلك التي انتهت بانقسام السريان على انفسهم الى شرقيين وغربيين ، والثانية هي المرحلة التي استقلت فيها كل طائفة بتأسيس مدرسة خاصة بها و تبع ذلك أن نهجت كل مدرسة نهجا مستقلا من حيث

شكل الخطوط والرموز المستخدمة فى ضبط انتاجها الادبى . والثالثة هى المرحلة التى شهدت اندماج المدرستين ومحاولة التغلب على خلافاتهما اللغوية . كما أُوردت أيضا اسماء علماء اللغة الذين ظهروا فى كل مرحلة .

مقدمة عامة وتشتمل على التعريف بالرموز التى استخدمها السريان فى ضبط مخطوطاتهم وآرائهم عن نشأتها ومراحل تطورها .

المبحث الأول :— الماسوراة عند السريان الشرقيين

قدمت لهذا المبحث بمقدمة تاريخية عن التراجم المختلفة للكتاب المقدس . وبعد عرض لاراء المحدثين عن المصطلح 'مشلمانوثا' وكوراسن دشماهى ' ، استعرضت اسلوب استخدام هذين المصطلحين فى كل من الابحاث النحوية والمخطوطات السريانية . وخلصت الى انه اذا اقترن استخدام المصطلح 'كوراسن دشماهى' بالمصطلح 'مشلمانوثا' فان الاخير يعنى مجموعة القوانين المتوارثة عن علماء القراءة والتى يجب الالتزام بها حتى وان تعارضت مع قواعد الصرف التى وضعها النحاة .

وتضم المخطوطات التى تحمل هذين المصطلحين استشهادات من الكتاب المقدس ضبطت بالرموز اللازمة لتحقيق القراءة الصحيحة ، كما تشتمل على مباحث للرموز من شأنها توضيح ظواهر صوتية معينة ، وتشتمل كذلك على ارشادات تنبيهية فى الهوامش ترشد القارئ الى اتباع قواعد معينة فى القراءة والترتيل على حد سواء .

كذلك استعرضت آراء المحدثين فيما يتعلق بالماسوراة السريانية ووصفهم اياها بانها لا ترقى من حيث الكفاءة والدقة الى مستوى الماسوراة العبرية ، بل انها ماسوراة وصفية غير استمرارية . ضمنت هذا المبحث أيضا لمحة تاريخية عن تأسيس المدرسة الشرقية وعن مناهج الدراسة الأدبية فيها وكذا القاب أعضاء هيئة التدريس بها ، وختمت هذا الجزء بتحديد أسماء علماء اللغة الذين استعنت بفصول معينة من أبحاثهم . انتقلت بعد ذلك الى عرض تفاصيل وصفية لمحتوى مخطوط الماسوراة الشرقية رقم ١٢١٣٨ ، والمصطلحات المستخدمة فى التقدمة له أو لعناوين بعض الأسفار وكذا مصادر القراءة الواردة فيه .

المبحث الثانى : مدخل لدراسة الأصوات الشرقية

قدمت لهذا المبحث بموجز عن جهود المحدثين فى مجال علم الأصوات العام فيما يتعلق بتقسيم الأصوات الى صوامت — طبقا لمخرجها وحالة ممر الهواء اثناء ادائها وتذبذب الأوتار الصوتية

أو عدم تذبذبها — وحركات طبقا لموقع اللسان ودرجة ارتفاعه وتأثير ذلك على درجة الرنين فيها .

عرضت بعد ذلك الى الجهود الصوتية عند السريان وتعريفاتهم الدقيقة فيما يتعلق بتقسيم الحروف الى 'حروف صوتية' وحروف 'غير صوتية' . ويتضح جوهر الخلاف بينهما من تعريف بر بولس — القرن الثامن الميلادى — حيث قال : " الحروف الصوتية يمر فيها الهواء عبر ممر لا يعوقه شىء " وهذا يعنى أن تصنيف الحروف اعتمد على طبيعة الأصوات وخصائصها وليس لمجرد استخدام مصطلحات تحمل مدلولات ايجابية مقابل اخرى سلبية . فاذا مر الهواء حرا طليقا دون أن يعترضه عائق فهو 'حرف صوتى' أى صائت واذا لم يتوفر هذا الشرط فأنه حينئذ 'حرف غير صوتى' أى صامت وعند الحديث عن الصوامت قدمت مدرجا صوتيا لها يتطابق مع منهج النحاة وتقسيمهم لها تبعا لمخارجها . وفى ضوء المعايير التى ذكرها النحاة — خاصة بر عفرايا — رسمت جدولا للصوامت حددت فيه صفاتها الصوتية من حيث الانفجار والاحتكاك والجهر والهمس وما الى ذلك .

اما الحركات فقد عرضت لها وفقا لمراحل تصويرها من الناحية التاريخية ، حيث استخدم السريان الحروف الصوتية الثلاث 'الالف والواو والياء' كحروف لها دلالات حركية فى الكتابة ولا سيما فى الشعر ، واعتمد ذلك كما يقولون على خصائصها الصوتية كحروف تمتاز بطاقة صوتية وسمعية عالية .

ولان هذه الحروف الثلاث كانت تعبر عن الأصوات الثلاث الرئيسية الفتح والكسر والضم دون التقيد بالتعبير عن كم صوتى معين فقد ادرك السريان صعوبة استخدامها للتعبير عن التنوع الصوتى فى الحركات خاصة مع الكلمات المتجانسة املائيا والمختلفة من حيث دلالتها الصوتية — أى النقطية . ومن ثم فقد استحدثوا نظاما يقوم على أساس التمييز بين الكلمات المتجانسة املائيا و المختلفة نطقا ودلالة واعتمد هذا النظام على استخدام رموز نقطية اطلقوا عليها اسم 'نقط التمييز أو التحديد' .

ومن مجمل تعريفات السريان فى هذا الصدد اتضح وجود علاقة صوتية وثيقة بين موقع الرمز وصفة الصوت المنطوق ، سواء أكان ذلك على مستوى الحركة أو الصامت . وفى مرحلة تالية استحدث السريان نظاما نقطيا استخدموا له المصطلح 'متزيعانياثا' ورغم تعدد صوره الاشتقاقية الا انها تتفق جميعها مع الوظيفة التى تؤديها رموز هذا النظام كمؤشرات حركية تسهل النطق بالصوامت .

وبعد عرض لجميع المصطلحات التى أوردها السريان عن مسميات الحركات اتضح ان مدلولاتها ترتبط بوصف عملية انتاج الصوت . فالرفع والخفض والاتساع والضيق والضغط كلها صفات تشير الى ادراك السريان للاثر الناتج من تحريك الاعضاء على تحديد طابع الصوت الحركى المنطوق .

ولقد استوحيت من الدراسات الحديثة فى علم الأصوات عدد من الاشكال الهندسية لتحديد موقع الحركات الثمانية ودلالتها الصوتية وذلك فى ضوء تعريفات نحاة السريان للحركات خاصة بر ملكون .

وختمت هذا المبحث بعدد من الاستنتاجات المتصلة بالقوانين الخاصة بالظواهر الصوتية التى لا تستخدم معها رموز مثل الاخفاء والحذف وتلك التى تستخدم معها رموز خطية (مهجيانا ومرهطانا) وذلك فى سياق توالى ساكنين فى وسط الكلمة شريطة تواجد كل منهما فى اطار صوتى معين .

المبحث الثالث : الرموز النقطية والخطية فى المخطوط رقم ١٢١٣٨

يزخر مخطوط الماسوراة الشرقية بعدد كبير من الرموز النقطية التى تحمل دلالات صوتية ولغوية ويلعب حجم الرمز النقطى دورا أساسيا فى تحديد الوظيفة الصوتية أو اللغوية التى يؤديها . والى جانب هذه الرموز استخدمت الماسوراة ايضا الرمزين الخطيين مهجيانا ومرهطانا . هذا بالاضافة الى عدد كبير من الارشادات التنبيهية التى وردت على صورة اختصارات تنبه القارئ الى ضرورة اتباع قواعد صوتية معينة .

ومن خلال الاستعانة بالاستشهادات المقتبسة من هذا المخطوط أوضحت اسلوب الماسوراة فى استخدام النقط الدقيقة الحجم أى نقط التمييز طبقا لموقع الرمز والصيغة التى يستخدم معها ودلالته الصوتية أو التمييزية .

أما النقط الصغيرة الحجم أى الحركات فقد صنفتها وفقا لطريقة تصويرها والارشادات التى اقترنت ببعضها وقد قسمتها الى : حركات ثابتة من حيث الصورة النقطية والدلالة الصوتية ، وحركات متغيرة من حيث الصورة النقطية ولكنها ثابته من حيث الدلالة الصوتية ، وحركات غير ثابتة من حيث الصورة النقطية والدلالة الصوتية .كما يشتمل هذا المبحث على ملاحظات تعقيبية على الجداول التى اوضحت فيها استخدام الرمزين الخطيين مهجيانا ومرهطانا سواء من حيث التواجد فى الاطارات الصوتية التى حددها النحاة أو فى تلك التى اجازتها الماسوراة .

تمهيـــــــــد

يمكن رسم اطار عام للمراحل الاساسية التي مر بها تاريخ الادب السرياني على النحو التالـي :

المرحلة الاولى : وهي التي شهدت أخطر نقطة تحول دينى فى تاريخ الكنيسة السريانية عندما انقسم السريان على أنفسهم نتيجة خلافات مذهبية الى شرقيين (نساطرة ــ أصحاب الطبيعتين) وغربيين (يعاقبة ــ أصحاب الطبيعة الواحدة) ، وانتهت هذه المرحلة بادانة نسطوريوس (١) واتهامه هو وأتباعه بالهرطقة وذلك عام ٤٣١م فى مجمع أفيزوس الاول (٢) .

المرحلة الثانيـة : وفيها أغلقت 'مدرسة الفرس' أو 'المدرسة الشرقية' فى الرها عام ٤٨٩ م . وبعد فترة من نزوح الشرقيين قاموا باعادة فتح المدرسة (٣) الشرقية فى نصيبين وذاعت شهرتها العلمية حتى فاقت تلك التي كانت لمدرسة (٤) الرها . وكان من نتائج هذا التنافس ــ الى جانب الصراعات السياسية بين الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ــ أن تميز الانتاج الادبى لكل مدرسة بظواهر لغوية خاصة . كذلك لعب الفتح الاسلامى فى منتصف القرن السابع دوره فى التأثير على لهجة المدرستين الشرقية والغربية (٥) .

المرحلة الثالثة : بدأت فى القرن الحادى عشر عندما انقشعت سحابة التنافس بين الطائفتين وضاقت هوة الخلاف بين اللهجتين (٦) . وقبيل انتهاء هذا العصر الغض فى تاريخ الادب السريانى وقف غريغوريوس أبو الفرج الطيب (٧) الملطى المكنى بـ 'بر عثرايا' شامخا بانجازاته العديدة فى شتى مجالات العلوم والادب (٨) .

---

١ ــ عن تاريخ نسطوريوس ودفاعه عن عقيدته واستشهاده على ذلك بنصوص من الكتاب المقدس انظر :
Baker, J.: Nestorius the Bazaar of Heraclides (1908).

٢ ــ عن الادانات المتبادلة بين الطائفتين فى المجمعين الكبيرين ، مجمع نيقية ٣٢٥م ومجمع أفيزوس ٤٣١م انظر :
Cowper, B.: Syriac Miscellanies(1861).

٣ ــ سوف نعرض لهذه المدرسة بالتفصيل فى موضعه .

٤ ــ عن تاريخ الرها السياسى والمركز الادبى لمدرستها انظر Duval,R.:Histoire Politique....de Edessa,in JA (1884).Hayes,E.:L'ecole d Edessa(1930).

٥ ــ Martin, M.: Les deux principaux dialectes Aram.JA (1872)

٦ ــ Segal,J.: The diacritical point .... in Syr. mss.(1953.4)

٧ ــ راجع خاتمة المخطوط رقم ١٨٢٩٥ : ورقة ١٣٧ ، والذى يشتمل على أحد مؤلفاته الفلسفية وهو كتاب الاثيقون .

٨ ــ انظر حياته وقائمة اعماله : أفرام الاول برصوم : اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية ط٣ (١٩٧٦ ٤١٤٠ــ٤٣٠)

وخلال هذه المراحل التاريخية تعرض المتحدثون بالسريانية الى مؤثرات داخلية وخارجية كان طبيعيا أن تؤثر على لغتهم ، غير أن فحص المخطوطات المؤرخة ـ الموجودة في المكتبة البريطانية ـ قد أثبت أن الخلافات اللغوية بين اللهجتين لم تظهر قبل القرن السادس (١) ، ويتضح ذلك من المخطوط رقم ١٤٤٦٠ والمؤرخ بعام ٦٠٠م حيث أنه قد دون بخط صغير متميز يختلف عن الخط (٢) الاسطرانجيلن الذى شاع استخدامه قبل هذا التاريخ . ويعتبر المخطوط السالف الذكر أقدم ما وصل الينا من المخطوطات التى دونت بهذا الخط النسطورى الذى أصبح فيما بعد أحد السمات المميزة للمخطوطات الشرقية (النسطورية) . كما يتضح أيضا من المخطوط الشرقى رقم ١٤٤٧١ (٦١٥م) استخدام نظام نقطى مستقل يختلف عن ذاك المستخدم في المخطوطات الغربية .

ورغم شيوع هذا الاستقلال في الخط والرموز ، الا أن القرن السابع يشهد بوجود اتصال بين المدرستين ويتضح هذا من أن أحد ملوك الفرس قد أحضر للمدرسة في نصيبين مخطوطا غربيا من الرها ورد في خاتمته أنه قد دون بواسطة اثنين من مشاهير النساخ في المدرسة الغربية (٣) . وتضم المكتبة البريطانية أيضا مخطوطا (٤) من القرن الثامن ورد في خاتمته أنه قد دون في الرها بيد ناسخ نصيبينى . والثابت من المخطوطات أن مثل هذا الاتصال كان قاصرا على تبادل المخطوطات بين المدرستين ، حيث اتبعت كل مدرسة منهما اتجاها مستقلا في استخدام رموز خاصة بها . ويعد يعقوب الرهاوى (٥) (ت٧١٠م) من أشهر نحاة المدرسة الغربية في هذه المرحلة .

---

١ ـ Segal, op.cit.p.4

٢ ـ عن الخطوط السريانية وتطورها انظر :

Kostuji,A.: The origin and evolution of Semitic Alphaphet,(1937).

Hatch.W.: Album of dated Syr ..Manuscripts (1946.13).

٣ ـ Martin,op. cit. p .327.

٤ ـ مودع تحت رقم ١٧١٧٠ ومؤرخ بعام ٧٧٥م ويحتوى على أعمال يوحنا الراهب .

٥ ـ عن حياته وقائمة اعماله الادبية انظر :

Wright,W.: Short history of Syriac Literature(1894.141-54).

الموجود من اعمال الرهاوى النحوية عبارة عن فصول ومقطوعات في المخطوطات التالية : (١٢١٧٨/ ٢٢٣ب ـ ٢٣٢) ، (٧٣٨٣/ ١٢٥ع٢ ـ ١٢٦ب ع٢) ، (١٧٢١٧/ ٣٧ـ٣٨ب) ، (١٤٦٦٥/ ٢٨ـ٢٨ب) ، (١٧١٢٥/ ٨٠ـ٨١) ومخطوط بودلين في اكسفورد رقم ١٥٩ ورقة ١ب ـ ٢ب ع٢ . وقد طبعت مقتطفات من هذه الاعمال في :

Philips,G.:Letter by Mar Jacob ...on Syr.Orthography,(1869).

Wright,W Fragments of the Syr .gram.of Jacob of Edessa(1871).

وفي المرحلة الثالثة ، مرحلة الانصهار [١] ، وضع الياس الطيرهاني [٢] (ت١٠٤٩م) مبحثا في النحو نهج فيه أسلوب المقارنة بين بعض الظواهر اللغوية الخاصة بالمدرسة الشرقية التي ينتمي اليها وما يقابلها في المدرسة الغربية ، كما قدم قائمة تضم 'رموز التنغيم' [٣] الخاصة بالمدرسة الغربية ونسب وضعها الى يعقوب الرهاوي .

ومن أبرز نحاة المدرسة الشرقية الذين ظهروا أيضا في هذه المرحلة :الياس بر شينايا [٤] (ت١٠٥٥م) ، يوحنان بر زعبي [٥] (ت١٢٢٠م) وتلميذه اليعقوبي المذهب يعقوب بر شاكو [٦] ، يوسف بر ملكون [٧] (ت١٢٣٠م) ـ طبقا لتأريخ مارتن [٨] .

وقد انتهت هذه المرحلة بوفاة بر عثرايا (١٢٨٦م) الذي حمل 'لقب مفريان الشرق' والذي تعد أبحاثه [٩] النحوية من أكمل وأدق ما وصل الينا عن اللهجتين السريانيتين الشرقية والغربية على حد سواء .

---

١ ـ أطلق عليها مارتن 'مرحلة المدارس المختلطة' لاعتقاده بأن السريان الغربيين الذين عاشوا في الشرق قد لعبوا دور العملاء في توحيد اللهجتين :
Martin, op . cit. p 309 وتعقيبا على هذا الرأي قيل أن هذه المحاولة لم تحدث الا بعد الياس بر شينايا بنحو قرنين وذلك على يد يعقوب بر شاكو Segal,op.cit.p.Sn.1

٢ ـ عن حياته وأعماله الأدبية : Wright,op.cit.p. 233

٣ ـ يختلف محتوى القائمة التي أوردها الطيرهاني عن محتوى قائمة الرهاوي الموجودة في مخط (١٢١٧٨/٢٢٩) و (١٧١٢٥/٨٠) ولكنها تتفق في معظم محتواها مع القائمة المجهولة المؤلف في (١٢١٧٨/٢٣٢) ، وتتطابق جوهريا مع القائمة المنسوبة الى ثوما الحرقلي في(١٢١٧٨ /٢٤٠ب ـ ٢٤٢ب) .

٤ـ٧ عن حياتهم وأعمالهم الأدبية انظر : Wright,op.cit.pp.237,258,260,256.

٨ ـ Martin ,op.cit.p.317ff.

٩ ـ وضع مؤلفين أحدهما نثري والآخر منظوم ، وقد طبعهما مارتن عام ١٨٧٢ :
Martin, M,: Oeuvres Grammaticales d Abou Lfaradj,dit Bar Hebreus, I - II (1872)
كما طبع له موبرج أيضا مبحثه النثري عام ١٩٢٢ وكان قد سبق وقدم ترجمة لبعض فصول منه عام ١٩٠٧ـ١٩١٣ .
Moberg,A.: Buch der Strahlen ...(1907 - 13).
ed . Moberg, Le Livre des Splendeurs (1922).

مقدمـــة عامـــــــة

تشتمل المخطوطات السريانية وبصفة خاصة تلك التي تحتوى على نصوص من الكتاب المقدس على مجموعة من الرموز النقطية والخطية . وفيما يتعلق بالرموز النقطية فانها كثيرة ومتنوعة ، وربما كان مثل هذا التنوع والكثرة هو الأمر الذى دعا بر ملكون الى أن يطلق عليها فى مبحثه (١) النحوى 'شبكة النقط' (٢) وقد صنفها من حيث الحجم الى : كبيرة وصغيرة . والواقع أن مثل هذا التصنيف يتفق فقط مع ماورد فى المخطوطات القديمة ـ من مطلع القرن الخامس حتى السادس الميلادى ـ التى صورت ظاهرتين فقط من ظواهر الاستخدامات النقطية . ويعد تصنيف بر عثرايا هو الاقرب الى الدقة من حيث مطابقته للتصويرات النقطية فى مخطوطات ما بعد القرن السادس ، اذ صنفها من حيث الحجم الى : كبيرة ومتوسطة وصغيرة (٣) . ومن ناحية العدد فانها أعدت لتكون اما فردية أو زوجية أو ثلاثية ، ومن حيث الموضع فانها توضع اما فوق الكلمة أو تحتها أو على سطر الكتابة .

أما الرموز الخطية فمنها ما يظهر مفردا فوق أو تحت مقطع معين من الكلمة أو على سطر الكتابة ، ومنها ما يأتى مركبا مع رموز نقطية معينة .

والعين المدربة على قراءة المخطوطات يمكنها أن تميز مواطن الخطأ النسخى ، وهى الظاهرة التى دعت يعقوب الرهاوى الى توبيخ النساخ ووصفهم بأنهم " لا يعرفون قيمة ما يرون أو ما يكتبون "(٤) وقد عقد يعقوب مقارنة بين قوانين استخدام الرموز النقطية وبين قوانين الطبيعة فشبه قبح التقصير فى تنقيط الكلمات " بيد أو قدم بكل منها أربعة أصابع "(٥) ، كما شبه الافراط فى استخدام النقط " بوجه انسان أو حيوان به ثلاثة آذان أو ثلاثة عيون (٥أ) " . كما أوضح أن عدم الالتزام بوضع 'النقط' فى مكانها الصحيح " يجعل الكلمات تبدو مثل رؤية العين فى مكان الذقن والأذن فى مكان العين والأظافر فى الساق "(٦) .

ويمكن تصوير فكرة السريان أنفسهم عن نشأة مثل هذه الرموز على ضوء ما سجله بر عثرايا الذى سأل بعض الأساتذة المتخصصين فى هذا الشأن وبعد تفكير منهم عضوا على أنيابهم ـ على حد تعبيره ـ

---

١ ـ مخط ٢٥٨٧٦ / ٢٧٦ب ـ ٢٩٠ب . لم يحظ هذا العمل حتى الان بأية دراسة سواء من حيث الترجمة أو التحليل وما طبعه مركس ليس سوى مقتطفات وجيزه منه :

Merx, A. Historia artis gram...(1889 .124 - 26)

٢ ـ طي موها و نقصرا

٣ ـ ed. Moberg, op.cit.p.226

٤ ـ مخط ١٢١٧٨ / ٢٢٤ب ع ١

٥ ـ ٥أ نفسه ورقة ٢٢٦ب ع ٢

٦ ـ نفسه ورقة ٢٢٧ع ١

ثم أجابوه : " أن الرموز المستخدمة فى النصوص المقدسة ليست من صنع البشر بل هى نفح من الروح القدس ، ونظامها ثابت لا يتغير ومعروف عند الدارسين ، أنها أسمى من أن يدركها العقل البشرى ، والدارسون يتعرفون عليها بمجرد النظر اليها ويتعلمون قراءتها بالسماع الى أساتذتهم (١) .

يتضح مما سبق أن علماء القرن الثالث عشر قد اعتبروا الرموز المستخدمة فى ضبط النصوص المقدسة نوعا من التوقيف والوحى وأن العقل البشرى لم يكن له دور فى ابتداعها وتطويرها ، وأن قراءة الكتاب المقدس كانت متواترة بالسماع . ورغم أمانة برعقرايا فى تسجيل مثل هذه الشهادة الا أنه لم يعقب عليها .

ولكن دراسة المخطوطات تثبت أن نظام استخدام الرموز النقطية والخطية قد تم وضعه وتطويره طبقا لقوانين معينة ، وخير دليل على ذلك ما جاء على لسان يعقوب الرهاوى من أنه قد استحدث نظاما نقطيا خاصا به الى جانب الأنظمة الأخرى التى وضعها السابقون عليه (٢) .

وقد نشأت هذه الأنظمة كمحصلة لتفكير منطقى كما يتضح من أساليب استخداماتها وأنها مرت بمراحل تطور لا تعكس فقط ظواهر لغوية شاعت عند المتحدثين بالسريانية بل أيضا ظواهر تاريخية وسياسية ودينية لعبت جميعها دورا هاما فى تاريخ اللغة السريانية وهو ما أطلق عليه مارتن مصطلح ' الجيولوجيا اللغوية '. (٣)

وقد جرى استخدام النظام النقطى فى مخطوطات ما قبل القرن السادس على النحو التالى :

١ ــ نقطة سفلية وأخرى علوية لتمييز فونيم الدال عن فونيم الراء .

٢ ــ نقطتان علويتان لتمييز صيغة الجمع .

٣ ــ رموز نقطية علوية أو سفلية خاصة بتمييز الكلمات أو الاصوات .

٤ ــ رموز نقطية علوية أو سفلية مفردة او مركبة خاصة بتنظيم الايقاع الموسيقى .

والمرجح أن رموز البند الأول هى الأقدم فى الظهور ويستدل على ذلك مما ورد فى الكتابات النقشية (٤) . وتحظى رموز هذا البند بأولوية مطلقة فى الاستخدام ــ فيما عدا حالات الاهمال النسخى وهى قليلة .

أما رموز البند الثانى فقد ظهرت فى مرحلة لاحقة (٥) . ورموز البند الأول والثانى يسهل التعرف عليهما .

---

١ ــ ed.Moberg,op.cit.p.192

٢ ــ مخط ١٢١٧٨/٢٢٧ب ع٢

٣ ــ Martin,JA (1872.315) .

٤ ــ DeVogué, M.:Syrie Centrale inscriptions(1868.3) .

٥ ــ Duval,R.:Traité de gram.Syr.(1881.123) .

ويختلف الوضع بالنسبة لرموز البند الثالث والرابع حيث طرأت على أساليب استخداماتهـــا تغييرات وتطورات مما أدى الى تعقيد الدور البسيط الذى كان يؤديه كل منها . وتشترك رمـــوز هذين البندين فى عدد من الملامح العامة أهمها توضيح معنى النص (١) . ففى رموز البند الثالث 'نقط التمييز' يحمل كل رمز نقطى دلالة معينة تهدف فى المقام الأول الى توضيح الخلافـــات الصوتية بين الكلمات المتطابقة فى الاملاء والمختلفة فى المدلول (٢) ، بينما تختص رموز البنـــد الرابع 'نقط التنغيم' بضبط الايقاع الصوتى فى ترتيل النصوص المقدسة (٣) .

وتشهد مخطوطات ما بعد القرن السادس مراحل تطور فيها أسلوب استخدام كل من 'نقـــط التمييز' و 'نقط التنغيم' خاصة فى المخطوطات الشرقية التى استحدثت ايضا نظاما خاصا بها وهو الرموز الخطية . ويمكن اعتبار القرن التاسع بأنه قمة التطور فى استخدام الرموز النقطية بأنواعهـــا المختلفة وكذلك الخطية .

لقد نشأت هذه الأنظمة وتطورت كنتيجة طبيعية للرغبة فى التغلب على نواحى القصور الموجودة فى الأبجدية السريانية . ولم يقتصر دور علماء اللغة على ابراز مثل هذه النواحى ، بل أنهـــم استعرضوا أيضا طرق التغلب عليها .

يقول يعقوب الرهاوى : " ان أحد نحاة اليونان ذكر له أن أبجديتهم كانت ناقصة وأنها كانـــت تشتمل على ١٧ حرفا فقط ، ثم أضيف اليها تدريجيا حروف أخرى حتى بلغت ٢٤ حرفا ، وهكـــذا أصبحت أبجديتهم كاملة (٤) " واضاف يعقوب قائلا : " لقد كان بالامكان اتباع نظام مماثل فى السريانية للتغلب على المشاكل الموجودة فى أبجديتها التى تعانى نقصا فى الصوامت والحركات على حد سواء وهو الأمر الذى أدى الى عدم القدرة على القراءة الصحيحة (٥) " .

كما أشار يعقوب أيضا الى جهد الأقدمين فى محاولة اصلاح 'قوانين اللغة' وذلك عن طريق اضافة حروف زائدة يمكن بواسطتها مساعدة القارئ فى التمييز بين مدلول الكلمات ، وضرب لذلـــك مثلا بكلمتى ـــوـ ، ـــوـ ـ فالأولى تعنى (رجل) أما الثانية فقـــد أضيف اليها حرف النون ومعناها (جبار) . وتعد هذه الاضافة فى رأى يعقوب اقحاما لحـــروف غير منطوقة كان من شأنها تصعيد مشكلة القراءة الصحيحة حيث أنها أدت الى تفاقم فى القـــراءة الخاطئة عندما نطق السريان بهذه النون وغيرها من الحروف الزائدة (٦) .

---

١ ـ Segal, op.cit.p.6 .

٢ ـ يعقوب الرهاوى مخط ١٢١٧٨/٢٢٧ع٢ .

٣ ـ ed.Moberg, p.224 .

٤ ـ مخط ١٥٩/١ب .

٥ ـ المرجع السابق ورقة رقم ٢ع١ .

٦ ـ نفسه ورقة ٢ ع٢ .

وقد وصف المحدثون يعقوب الرهاوى بأنه " صاحب أول عمل نحوى منظم (١) " . وعلى ضوء الظواهر اللغوية الدقيقة التى عالجها ببراعة فائقة يمكن القول بأنه جدير بأن يطلق عليه أيضا لقب 'رائد علم الصوتيات فى السريانية' ، ويؤكد ذلك تعريفاته الصوتية التى يقول فيها " ان مدلول الكلمات لا يفهم من الحروف المكتوبة ولكن من الأصوات المنطوقة عن طريق الشفتين (٢) . . . ان الأصوات تنقسم الى غليظة ومرققة ومتوسطة (٣) . . . ان موضع الرمز النقطى من الكلمة يحدد مدى الكم الصوتى اللازم لاخراجها (٤) " .

لقد كانت أبحاث الرهاوى وتعريفاته مرجعا أساسيا اعتمد عليه نحاة المدرستين سواء عن طريق الاستشهاد بتعريفاته أو الاقتباس الكلى أو الجزئى منها .

ودراستنا هنا تهتم بوصف وتحليل مدلول الرموز التى استخدمت لضبط القراءة فى القرن التاسع فى أحد المخطوطات الشرقية الذى يتسم بسمات معينة كما أنه يندرج تحت تصنيف معين من تصنيفات المخطوطات السريانية وهو ما يعرف باسم 'ماسوراة' .

---

١ — Duval,r.:La Littérature Syriaque(1899.286) .

٢ — مخط ١٥٩/٢ع١ .

٣ — مخط ٧١٨٣/١٢٥ب ع ٢ .

٤ — مخط ١٢١٧٨/٢٢٨ع ٢ .

المبحث الأول

الماسوراة عند السريان الشرقيين